عبد الصمد الديالمي في الميزان

ملامح من تطور أنثروبولوجيا الجنسانية المغاربية والعربية المعاصرة

محمد الإدريسي – المغرب

ملخص

تعطي هذه المقالة لمحة عامة، دون أن تكون شاملة، عن ملامح من أنثروبولوجيا الجنسانية في الأعمال السوسيولوجية للدكتور عبد الصمد الديالمي منذ سنة 1985. وتبرز المراحل والموضوعات البحثية الكبرى والبراديغمات النظرية التي وجهتها، مع الأخذ بعين الاعتبار التداخل وعدم وضوح الحدود بين السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا الجنسانية. إن الأهمية العلمية لدراسة الجنس بالمجتمعات المغاربية والعربية تتماشى طرديا مع الالتزام العلمي والأنثروبولوجي لعبد الصمد الديالمي.

الكلمات المفتاحية: السوسيولوجيا، الأنثروبولوجيا، عبد الصمد الديالمي، الجنسانية

Résumé

Sans prétendre à l'exhaustivité, l'article donne un aperçu sur les caractéristiques de l'Anthropologie de la sexualité dans les travaux Sociologiques de Dr abdessamad dialmy depuis 1985. Il faire ressortir les grandes étapes, les grands thèmes de recherche et les paradigmes théoriques qui les orientent, tout en tenant compte du caractère flou des frontières entre la sociologie et l'anthropologie de la sexualité. L'importance scientifique de l'étude du sexe dans les sociétés maghrébines et arabes vont de pair avec l'engagement scientifique et anthropologique de Dialmy.

Mots-clés : Sociologie, sexualité, Aanthropologie, Abdessamad dialmy.

-1-

منذ أول عمل له حول المرأة والجنس بالمغرب (الديالمي، 1985)، والذي يعتبر أحد أبرز الأعمال السوسيولوجية والأنثروبولوجية بالمغرب ما بعد الاستقلال، التي جعلت من قضية المرأة والجنس "مطلبا علميا" ملتزما، جعل الدكتور عبد الصمد الديالمي شعاره المركزي هو "العلم في خدمة التغيير"، ووضع المسافة بين "الانتماء الاجتماعي والثقافي" و"إنتاج الحقيقة العلمية".

انطلاقا من هذا التوجه السوسيولوجي الملتزم، اكتسب الدكتور الديالمي شهرة وطنية وعربية ودولية باعتباره أحد المتخصصين القلائل في الجنسانية بالعالم العربي، وأثار حفيظة "الأوساط العلمية والأكاديمية" و"الإسلامويين" كما "عموم الأفراد". وبدأً من كتابه المعرفة والجنس (الديالمي، 1987)؛ الجنسانية والخطابات بالمغرب (Dialmy,1988)؛ القضية السوسيولوجية (الديالمي، 1989)؛ النسوية الصوفية (Dialmy,1991)؛ سكن، جنس، إسلام(Dialmy,1995)؛ النسوية، الإسلاموية والصوفية (Dialmy,1997)؛ نحو ديمقراطية جنسية إسلامية (الديالمي، 2000)؛ الشباب، السيدا والإسلام (Dialmy,2000)؛ المدينة الإسلامية والأصولية والإرهاب (الديالمي، 2007)؛ سوسيولوجيا الجنسانية العربية (الديالمي، 2009) وصولا إلى الانتقال الجنسي في المغرب (2015)، "صار الدكتور الديالمي بحق واحد من أبرز العلماء والسوسيولوجيين العرب الملتزمين".

درس وحلل وكتب حول الجنسانية بالعالم العربي حتى اتهمه البعض بـــ"الخروج عن الدين"[1] وتعرض مرارا لمحاولات اغتيال[2]، لكن دون الاستسلام، وواصل بالتزام سوسيولوجي، قل نظيره بين المفكرين والمثقفين العرب المعاصرين، انتقاد الأوضاع الدينية والجنسانية بالمغرب خاصة والعالم العربي عامة، في إطار مطلب تحرير النص الديني من احتكار رجال الدين وجعل الظاهرة الجنسانية موضوع علمي للسوسيولوجيا المعاصرة، فكان أن أصبحت انتقاداته موضوعا للتأمل والدراسة والتحليل وأحيانا السخرية والتهكم، ووجد القارئ المغربي –والعربي– ذاته منطبعة في أعمال الدكتور الديالمي ضمن وصفه للمغاربة بـــ"لصوص الجنس" و"المنافقين جنسيا" (الديالمي، 2009)، وهي عبارات تختزن مدلولا خاصا بمعظم المجتمعات التي تعيش مرحلة الانتقال الجنسي. بل إن الديالمي تنبأ مبكرا بخطر المد الإرهابي (Dialmy,1995) الذي هز المجتمع المغربي خلال ماي سنة 2003، حيث أن أزمة السكن التي تعاني منها مجموعة من الدول العربية تعتبر المنفذ الأول والأخير لتفريخ أجيال من الشباب المتأسلم والحامل لمختلف القيم الإرهابية.

---

1. عقب الندوة التي نظمتها وزارة الصحة يوم الأربعاء 11 مارس 2015 حول «الإجهـــاض: التـــأطير القـــانوني ومتطلبات السلامة الصحية»، صرح الديالمي بكل جرأة علمية –باعتباره متخصص أيضا في سوسيولوجيا الـــدين– أن الإسلام لا يحرم قطعا الإجهاض، ما أثار حفيظة بعض الفقهاء والعلماء الإسلامويين والمتمذهبين واتهموه "بالردة" بـــل منهم من اتهمه ب"التخريبق" (اللاعلمي واللامنهجي)، كما هو الحال مع رئيس المجلس العلمي لمدينة وجدة الذي اتهـــم د. الديالمي "باحتكار الساحة العلمية وملئها بالترهات"، الأمر الذي يفسر الحرب اللاموضوعية التي تخوضـــها مختلـــف التيارات الفكرية والاسلاموية ضد الدكتور الديالمي وكل عالم ملتزم دون أي أسس علمية ونقدية.

2. كما حدث بأحد المؤتمرات حول المرأة سنة 1999 باليمن.

حظي الدكتور عبد الصمد الديالمي بشعبية واسعة داخل المجتمع المغربي، بين أصدقاءه وقرائه وكل باحث عن الحقيقة ومتشبع بقيم ومبادئ الدرس السوسيولوجي الملتزم، باعتباره أحد أبرز علماء الاجتماع المغاربية، بعد الراحل بول باسكون "Paul Pascon "، الذين فهموا حقيقة المجتمع المغربي بكل موضوعية وبعيدا عن كل انحياز أو دوغمائية، ونال ثقة المجتمع العلمي الوطني، العربي والدولي. تعدد كتابات عبد الصمد الديالمي وتنوعت في إطار ثلاثية مركزية: الجنس والمرأة والدين، حاول من خلالها الابتعاد عن الإغراق في التنظير على شاكلة "فكر المادية التاريخية" وسعى نحو المزاوجة بين التنظير والميدان من أجل رصد الوقائع الاجتماعية التي ظلت بعيدة عن البحث والدراسة السوسيولوجية والأنثروبولوجية.

لقد استطاع الدكتور الديالمي أن يقارب بالنقد والدراسة موضوعا لازال في حد ذاته شبه ممنوع من الدراسة؛ إنه التابو المعرفي بالنسبة "للشعوب العربية المتخلفة"، والتابو السياسي بالنسبة للأنظمة السياسية الحاكمة، كما بالنسبة للحركات النسائية العربية، بل حتى بالنسبة للجامعات العربية نفسها (الديالمي،2009: 6)، وأن يجعل البنيات الذهنية والبنيات الموضوعية العربية تتمثل الشرط الاجتماعي للجنسانية كمبحث أساسي ضمن العلوم الاجتماعية المعاصرة.

-3-

بخبرة تتجاوز الثلاثين سنة في الميدان، تمكن الديالمي من بلورة نظرية "الانتقال الجنسي" (الديالمي، 2009،2015)، كتجسيد "للانفجار الجنسي" الذي يعرفه المجتمع المغربي، حيث أن هذا

الأخير – والمجتمعات العربية المعاصرة عامة- يعرف "تحول جنسي" يمكن ملاحظته على صعيد السلوكات والممارسات اليومية. فالجنس تجاوز حدود الإطار الزواجي في اتجاهين: اتجاه العمل الجنسي واتجاه العلاقات الجنسية الغرامية والمتعية. ويمكن رصد الانفجار الجنسي في إطار: الجنسانية ما قبل الزواجية، الجنسانية خارج الزواج وفي العمل الجنسي (الديالمي، 2009: 173).

إن توسع رقعة النشاط الجنسي العربي قبل الزواج، مرتبط إما بضغط قوة الرغبة الجنسية عند الشباب أو باسم الحب أو تحت ضغط إيديولوجيا الاستهلاك الجنسي باسم الصحة النفسية أو باسم التحرر، ومن جهة أخرى يرتبط انتشار العلاقات الجنسية خارج الزواجية (رجال ونساء) بالرغبة الدفينة في امتلاك الحريم وتعدد الشريكات الجنسيات لدى الزوج، في حين لدى النساء تقترن بالبحث عن لذة جنسية لا تتحقق مع الزوج؛ البحث عن المال والهدايا؛ الانتقام من الزوج الخائن (الديالمي، 2009: 173-174)؛ الرغبة في خوض تجربة جنسية ثانية...

وفيما يخص العمل الجنسي فقد توسعت رقعته ليشمل الرجال كما النساء، المثليين والغيريين، سواء لكسب لقمة العيش أو لتحقيق الرقي الاجتماعي أو الرغبة في الهجرة... وانتشر أيضا بمعظم دول العالم العربي ما يمكن أن نسميه "بالترقيع الجنسي-المجالي" (Dialmy,1995) كرد فعل اجتماعي-واقعي ضد سلطة المنع والقمع التي تطبع الحريات الجنسانية للأفراد.

إن الدول العربية عموما –والمغرب خاصة- تشارك، بالمعنى السوسيولوجي، في إحداث المشهد الجنسي المتفجر، في استغلاله وفي إنمائه. ويشمل الأمر الجنسين معا، كل الفئات العمرية وكل أماكن الإقامة (بادية/مدينة) وكل الطبقات الاجتماعية وكل الفئات السوسيو-مهنية، من دون استثناء. وتبلغ درجة النفاق حد التنديد بالجنس غير المؤسساتي من طرف مسؤولين وسياسيين وهم يمارسونه أو

يستفيدون من عائداته، بل يطال هذا النفاق حتى مدبري الشأن الديني والاسلامويين(الديالمي، 2009: 175)، والواقع أن النفاق يطال البنية الموضوعية للمجتمعات العربية كما البنية الذهنية للأفراد.

انتقد الديالمي بشدة التصورات الكلاسيكية (المادية التاريخية والماركسية) التي تربط بين العلم والواقع، بين والموضوعي والإيديولوجي وبين العلم ومقولاته بشكل عام، وأكد على ضرورة البحث عن الموضوعية والعلمية في قلب الخطابات الإيديولوجية حتى يتسنى لعالم الاجتماع اختراق ثقافة الحس المشترك والوعي بالرموز والخطابات المرتبطة بحقل الجنسانية داخل المجتمعات العربية، فكل خطاب يتأسس على حد أدنى من الموضوعية يتحول إلى دلالات إيديولوجية، وإلى مشاريع توجه بدورها البحث العلمي نحو مواضيع معينة. إن العلاقة بين العلم (العلم الاجتماعي) والايدولوجيا (العالم الاجتماعي) علاقة جدلية داخل الخطاب، علاقة مؤسسة لمفهوم الخطاب نفسه (الديالمي، 1989: 110)، والباحث الاجتماعي وجب أن يعي هذه المتزلقات الاجتماعية في إطار تفاعله مع مجتمعات تنتصر للخطاب الإيديولوجي على حساب المعرفة العلمية.

كان الدكتور الديالمي من أشد المنتقدين لاحتكار النص الديني من طرف رجال الدين، مؤكدا على أن "الإسلام مجال تداخل مختلف العلوم والتخصصات المعرفية"، واعتبر الفقهاء يتبنون أفكار وتوجهات إيديولوجية غير ملمة بالواقع كما هو، وتعتبره زيفا وزيغا (الديالمي، 2009: 136).

وكان الدكتور الديالمي ولازال من مناصري الديمقراطية الجنسية الإسلامية والدعوى إلى إسلام حداثي، عقلاني وديمقراطي (الديالمي، 2000) كما دعا مرارا إلى التخلص من القيم الإسلاموية والتقليدانية التي تعرقل التطور التاريخي وتخالف ركب التنمية المعاصرة وتتعارض مع قيم المجتمعات الديمقراطية والحداثية. كما انتقد امتناع الحكومات والأنظمة العربية عن دراسة الجنسانية، من منطلق

عدم تمكين الخصوم السياسيين من الحصول على دليل علمي يبين أن الجنسانية العربية ليست مطابقا لما ينبغي أن يكون "إسلاميا" (الديالمي، 2009: 7)، نظرا لكون واقع الجنسانية العربية يؤدي إلى اتهام الأنظمة الحاكمة بالعجز عن توفير العمل للشباب (أي عدم تمكينه من الزواج) (Dialmy,1995). كما أنه كان رافضا لفكرة الإيقاع باللائمة على الغرب أو البحث عن كبش فداء (نظرية المؤامرة) فيما يتعلق بالانتقال الجنسي الذي تعرفه المجتمعات العربية، معبراً عن ذلك بالقول "إن القانون الفقهي المنظم للجنسانية أصبح مرفوضا عمليا من طرف الفاعلين الجنسيين، فكل التحايلات والتواطؤات والترقيعات والإرشاءات والارتشاءات والابتزازات، ما هي إلا مؤشرات على معركة قائمة من أجل الحق في الجنس ضد القانون وضد الفقه (الديالمي، 2009: 176-177).

وتعرض الدكتور الديالمي أيضا لانتقادات حادة، فيما يتعلق بالمتودولوجيات البحثية، لازالت قائمة حتى يومنا هذا، رغم وضوح الموضوع والمنهج البحثي المتبع في معظم أعماله الفكرية (السوسيولوجية والأنثروبولوجية)، في إطار رسم معالم مشروع علمي متكامل لتحليل وفهم وتفسير الظاهرة الجنسانية المغربية والمغاربية والعربية من وجهة نظر العلوم الاجتماعية، تقنع (بالحجة والبرهان العلمي الميداني وليس فقط النظري) الكثير من المختصين العرب والأجانب وتعفيهم من توجيه سهام النقد غير البناء واللاموضوعية المبطنة.

وأشار الدكتور الديالمي في مرات عدة (الديالمي، 1989، 2009، 2015) إلى أنه "ليس منظر للجنسانية بالعالم العربي[3]" و "لا يقدم تعميمات رقمية ورياضية اعتباطية"، بل ظل ينادي بمقولة

3. على شاكلة أعمال كثيرة لعبد الوهاب بوحديبة وهشام شرابي.

أن الميدان هو المحك الرئيسي لأي معرفة علمية موضوعية ضمن حقل العلوم الاجتماعية (الديالمي، 1989: 6-7).

ويمكن القول إن الدكتور الديالمي جمع بين مقومات النظرية السوسيولوجية ونسق الميتودولوجيا الأنثروبولوجية، فقد كان "بنيويا" من حيث سعيه إلى تقديم نظرية عامة حول طبيعة الأنساق المكونة للظاهرة الجنسانية المغربية والعربية، وكان "بورديويا" (بنيويا بنائيا) من حيث التزامه السوسيولوجي بالحياد والموضوعية والإنعكاسية السوسيولوجية لأعماله كما لذاته كعالم اجتماع. سعى الديالمي إلى تبني موقف وسط فيما يتعلق بجدلية الكم والكيف في العلوم الاجتماعية، نظرا لكون الظاهرة الجنسية "ظاهرة اجتماعية كلية" (الديالمي، 2009: 15) ومتعددة التخصصات (علوم طبيعة إنسانيات وعلوم اجتماعية=sexologie)، تدور حولها مصالح مركبة ومتناقضة، واقترح الدكتور الديالمي معالجة قضية الجنسانية من وجهة نظر كمية وكيفية حسب نوع زاوية النظر والموضوع المدروس، انطلاقا من التيمات التالية: الذكورة والأنوثة و الختان والنوع (Gender) ، والعلاقات غير المتكافئة والسلطوية بين الرجل والمرأة والفحولة والبكارة والزواج والخصوبة ومنع الحمل والإجهاض والحب الجنسي، واللواط والسحاق والمتعة والأمراض والعجز/البرود الجنسي، والحجاب والشرف والعمل الجنسي...(الديالمي، 1995،2000،2007،2009).

كما أشرنا سابقا، امتلك الدكتورالديالمي قدرة سوسيولوجية وأنثروبولوجية على التنبؤ – باعتباره مطمح العلوم الإنسانية والاجتماعية- بمستقبل المجتمع المغربي بوحي من دراساته وأبحاثه العلمية. ومن هذا المنطلق تأتي نظرية الانتقال الجنسي (الديالمي، 2015)، التي أشار إليها في مختلف

أعماله وتصريحاته خلال السنوات الأخيرة، لتتمم مسار علمي أكاديمي وملتزم جعل من "الجنس مطلب علمي" قبل أن يكون "مطلب اجتماعي أو ايديولوجي".

ونبه الدكتورالديالمي مرارا إلى ضرورة الفصل الموضوعي بين التحليلات الجنسية الجاهزة وبين الدراسة الجنسانية الانثروبولوجية والعلمية للجنس كدور اجتماعي و"نوعي"، فالنسائية الموضوعية للأنثروبولوجيا تبرزُ بشكل واضح حينما يسمح الفعل الإثنوغرافي بمصادرة الهوية الجنسية كدور اجتماعي مستقل عن التحديدات التشريحية (Dialmy,1997).

ولازال الدكتور عبد الصمد الديالمي وفيا لمشروعه الفكري و"لشغبه" و"إزعاجه" السوسيولوجي، لكن بعض "القوى الخفية" تسعى بشكل مستميت لتهميش هذا الرمز الأنثروبولوجي والسوسيولوجي المغاربي والعربي، إذ تكاد تجد إجماع لدى أغلب المدرسين الجامعيين على تحاشي تدريس الدرس السوسيولوجي والأنثروبولوجي "الديالموي" داخل الجامعات، إما "حسداً علمياً" وإما لعدم القدرة الابستيمولوجية واللغوية على مواكبة أعماله ونظريات (التي تتوزع بين ثلاث لغات: الفرنسية، العربية والإنجليزية) وصعوبة الفهم الموضوعي للتحليل والنقد المزعج الذي يوجه لمختلف الفاعلين في الظاهرة الجنسانية. منعت كثير من أبحاث الديالمي –معرفيا وإيديولوجيا– من طرف رجالات الدولة والدين، بل حتى من طرف الجامعيين أنفسهم، ولا تزال تُعادى لغايات سياسية وثقافية مرتبطة بالشروط الاجتماعية لإنتاج المعرفة العربية ضمن نسق البنيات الموضوعية والبنيات الذهنية "التقليدانية"، لكن القارئ الفاحص والعلمي والمتجرد من كل أنواع الحس المشترك وكل الخلفيات الإيديولوجية سيجد في كتابات الديالمي "درس في الدرس السوسيولوجي والأنثروبولوجي العربي المعاصر".

وعن سن يناهز ستة وستين سنة لازال الديالمي رائد من رواد السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا العربية المعاصرة، وحتى نكون أوفياء لتقليد تكريم الأكاديميين على قيد الحياة، وخلال حياتهم المهنية، تجسيداً لمفهوم "المجتمع العلمي العربي"، سعينا إلى محاولة رصد طبيعة الصورة العالقة في البنية الذهنية الأكاديمية المغربية حول الدكتور عبد الصمد الديالمي. ولتحقيق ذلك قمنا بإجراء استبيان ميداني يهدف إلى التعرف على طبيعة الصورة التي يحملها الباحثين الاجتماعين المغاربية (مدرسين، باحثين، طلبة وموظفين) حول عبد الصمد الديالمي. طبعا، تم تقسيم استبيان إلى مجموعة من المحاور المحددة من طرف الباحث: الخلفية العلمية، مدى معرفة د.عبد الصمد الديالمي والإحاطة بأعماله، الكتاب الذي أثار اهتمام المبحوث، سؤال عن من يوازي الديالمي أهمية داخل المغرب، مدى موضوعية أو تحيز الديالمي، ثم مدى المعرفة المكونة حول نظرية الانتقال الجنسي للدكتور عبد الصمد الديالمي، والسؤال الأخير اقترن بالديالمي سوسيولوجي أم أنثروبولوجي. في ما يتعلق بالعينة، ونظرا لتزمن البحث مع فترة الامتحانات الجامعية، اقتصرنا على سحب عينة عشوائية مكونة من (268) شخصا من الأساتذة والباحثين ممن سهل ربط الاتصال بهم والطلب منهم المشاركة في الاستبيان بست مدن (بركان، وجدة، الرباط، الجديدة، سيدي بنور وبني ملال). وقد افترضنا أن العينة ممثلة للمجتمع الجامعي المغربي ككل.

فيما يتعلق بالخصائص العامة للمشاركين في الاستبيان، أخدنا عدد من المتغيرات وهي: السن والجنس والمستوى الدراسي والتخصص المعرفي والعمل ومكان الإقامة. أما ما تعلق بالسن، فقد تراوحت أعمار 80% من المستجوبين ما بين 18-33 سنة، و 17% تراوحت أعمارهم بين 34-

60 سنة، و3% ما فوق 60 سنة. من حيث الجنس، تم تبني "مقاربة النوع الاجتماعي" في البحث وشملت العينة 50% من النساء و50% من الرجال. وبالنسبة للمستوى الدراسي فقد شمل الاستبيان 15% من حملة الدكتوراه أو يعملون على التحضير لها، 17% من حملة شهادة الماجستير أو ممن يعلون على التحضير له (الماستر)، 68% من حملة شهادة البكالوريوس أو يعملون على التحضير لها (الإجازة الأساسية والمهنية). بالنسبة للتخصص المعرفي سجل حضور قوي للمتخصصين في العلوم الاجتماعية بنسبة 79%، تلتهم نسبة 15% من التخصصات الأدبية (لغات وتواصل، تاريخ، جغرافيا، دراسات إسلامية)، ثم نسبة 6% من التخصصات العلمية (رياضيات، فيزياء، بيولوجيا، جيولوجيا).

توزعت عينة البحث على أربع فئات فيما يخص العمل: الأساتذة، الطلبة، الباحثين، الموظفين، تقدمت فئة الطلبة لتصل إلى 70%، تلتها فئة الأساتذة بنسبة 14%، ثم فئة الباحثين بنسبة 9%، وفي الأخير فئة الموظفين بنسبة 7%. بالنسبة لمكان الإقامة فقد شمل الاستبيان ست مدن (بركان، وجدة، الرباط، الجديدة، سيدي بنور وبني ملال)، واستحوذت جامعة شعيب الدكالي (الجديدة وسيدي بنور) على نسبة 41% من المبحوثين، ثم جامعة محمد الأول (وجدة وبركان) بنسبة 36%، بعدها جامعة محمد الخامس (الرباط) بنسبة 15%، وجامعة السلطان مولاي سليمان (بني ملال) بنسبة 8%.

حول مدى معرفة د. عبد الصمد الديالمي والإحاطة بأعماله، وكما هو متوقع، عبر أغلب المشاركين في الاستبيان عن كونهم محيطون ومطلعون بأفكار وأعمال د. عبد الصمد الديالمي بنسبة 71%، في حين عبر 29% من المبحوثين أنهم على غير اطلاع أو إحاطة بالديالمي أو بأفكاره وأعماله.

عند السؤال عما يعرفونه من أفكار عبد الصمد الديالمي، توزعت الإجابات إلى خمس مستويات: أفكاره حول الجنس والجنسانية بالمجتمع المغربي، الانتقال الجنسي بالمغرب، أفكاره حول المثلية الجنسية، أفكاره حول حق العزاب في الجنسانية قبل الزواجية ثم إجازته للإجهاض، يرتبط اختيار المبحوثين للأفكار الأكثر شيوعا لدى عبد الصمد الديالمي مما تم نشره في وسائل الأعلام أو ضمن مواقع التواصل الاجتماعي.

وفي السؤال عن "الكتاب الذي أثار اهتمامك"، اختار 39% من المبحوثين أول كتاب للدكتور عبد الصمد الديالمي تحت عنوان "المرأة والجنس بالمغرب"، فيما اختار 35% كتاب "سوسيولوجيا الجنسانية العربية"، واختار 11% كتاب "نحو ديمقراطية جنسية إسلامية"، وتوزعت باقي النسب على "المعرفة والجنس" بنسبة 6%، و"الشباب، السيدا والإسلام "بنسبة 5%، إضافة إلى أن ما أثار الاهتمام هو انفتاح بعض المبحوثين على مجموعة من مقالات د. عبد الصمد الديالمي (سواء باللغة العربية، الفرنسية والإنجليزية) بنسبة 4%.

وفي محاولة لمعرفة تصور المبحوثين حول من يوازي الديالمي في الأهمية داخل المغرب، أجاب 75% ب(نعم) وأشاروا مباشرة إلى اسم "بول باسكون" (Paul Pascon)، محمد جسوس، عبد الكبير الخطيبي، تباعا. في حين أجاب 25% من المبحوثين ب (لا) معتبرين الديالمي يتجاوز الوطني ويجسد بحق "نموذج السوسيولوجي الملتزم" من ناحية الإنتاج والتكوين والشغب المعرفي، ويوازي في ذلك عالم الاجتماع الفرنسي "بيير بوريو"، بذلك يشكل "الإنتاج السوسيولوجي ودرجة التكوين" معياراً لعالم الاجتماع الملتزم داخل العالم العربي.

حول هل كان الديالمي موضوعيا أم منحازا، أجاب 60% بكون الدكتور الديالمي نموذج لعالم الاجتماع الموضوعي، في حين أجاب 40% بأن الديالمي لم يكن موضوعيا وكان منحازاً، حيث توزع الجواب على ثلاث فئات أساسية هما التحيز الديني بنسبة 15%، و التحيز الوطني بنسبة 3%، ثم التحيز السياسي بنسبة 1%.

فيما يتعلق بسؤال مدى المعرفة المكونة حول نظرية الانتقال الجنسي للدكتور عبد الصمد الديالمي، أجاب 85% ب (نعم) في حين أجاب 15% ب (لا)، ويمكن ربط الانتشار الأكاديمي والجامعي لنظرية الانتقال الجنسي بكونها ثاني نظرية سوسيولوجية علمية حول المجتمع المغربي بعد نظرية "المجتمع المركب" لبول باسكون، إضافة إلى تزامن إجراء هذا الاستبيان مع صدور الكتاب الأخير لعبد الصمد الديالمي حول "الانتقال الجنسي في المغرب" (الديالمي، 2015).

هل الديالمي سوسيولوجي أم أنثروبولوجي، كان هذا السؤال موجه بشكل أساسي للطلبة والجامعيين والباحثين، وقد جاءت الأجوبة مفاجئة للباحث ومخالفة لفرضياته، حيث انطلقنا من فرضية أن الديالمي "سوسيولوجي خالص" (Sociologue Pure)، لكن اعتبر 45% أم الديالمي أنثروبولوجي خالص، في حين اعتبر 35% أن الديالمي سوسيولوجي خالص، واعتبر 20% أن الديالمي سوسيولوجي وأنثروبولوجي في نفس الوقت. ويرجع اعتراف المبحوثين بالديالمي أنثروبولوجيا إلى ربطهم بين طبيعة المجتمع المغربي (ثالثي، عربي، في طور النمو) وطبيعة الميتودولوجيا الديالموية (الكمية والكيفية، مع التركيز أحيانا على الكيف)، الأمر الذي جعل من الإنتاجات العلمية للدكتور عبد الصمد الديالمي تندرج حسب المبحوثين ضمن تخصص أنثروبولوجيا الجنسيانية وأنثروبولوجيا الدين.

خاتمة

في خلاصة عامة حول هذا الاعتراف العلمي بالدكتور عبد الصمد الديالمي؛ كي لا يستمر تهميشه ضمن البنية الموضوعية الأكاديمية العربية وضمن البنية الذهنية الثقافية المحلية، يبدو أن نظريات وأبحاث ودراسات هذا "السوسيولوجي المزعج والمشاغب" قد جعلت منه رمزا من رموز الفكر العربي المعاصر، ليس فقط باعتراف محلي أو عربي وإنما باعتراف دولي.

إن الاعتراف بهذا الرمز العلمي ضمن حقل العلوم الاجتماعية المغاربية والعربية المعاصرة، وجب أن يكون مدخلا ابستيمولوجيا للاستفادة من أعماله من أجل تحقيق فهم علمي لواقع ومستقبل الظاهرة الجنسية المغاربية والعربية، وجعل "الاعتراف بعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيين المغاربيين والعرب" دلالة على تبلور "مجتمع أكاديمي مغاربي وعربي" يقر بمساهمات أعضائه في الرقي بالبحث العلمي بالمنطقة، ويحي مكانتهم الفكرية والعلمية ويقيس وضعيتهم الرمزية.

***

في الأخير، لابد أن نعيد التفكير في د."عبد الصمد الديالمي أنثروبولوجيا"، ليس فقط في الحقل الجنساني بل أيضا ضمن حقول الدين والجندر. وما من سبيل لتفعيل هذه "المقولة العلمية" سوى توجيه اهتمام المؤسسات الجامعية والمراكز البحثية نحو الدراسة والتحليل العلمي الموضوعي لأعمال الرواد المؤسسين للعلوم الاجتماعية العربية بما يخدم تجديد الحوار بين السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا وكذا الاثنولوجيا داخل البلدان المغاربية والعربية، في إطار تنمية وتطوير "وعي المجتمع العلمي العربي" و"وحدة المجتمع العلمي العربي".

المراجع

- الديالمي، عبد الصمد (1985) المرأة والجنس بالمغرب: دراسة سوسيو-تحليلية. الدار البيضاء، دار النشر المغربية.
- الديالمي، عبد الصمد (1987) المعرفة والجنس، الدار البيضاء، عيون المقالات.
- الديالمي، عبد الصمد (1989) القضية السوسيولوجية: نموذج الوطن العربي، إفريقيا الشرق.
- الديالمي، عبد الصمد (2000) نحو ديمقراطية جنسية إسلامية. فاس، مطبعة أنفوبرانت.
- الديالمي، عبد الصمد (2007) المدينة الإسلامية والأصولية والإرهاب –مقاربة جنسية–، بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الديالمي، عبد الصمد (2009) سوسيولوجيا الجنسانية العربية، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الديالمي، عبد الصمد (2015) الانتقال الجنسي في المغرب: نحو الحق في الجنس، في النسب وفي الإجهاض، الرباط، دار الأمان.

- Dialmy A. (1988), Sexualité et discours au Maroc, Casablanca, Éditions Afrique-Orient.
- Dialmy A. (1991), Féminisme soufi : conte fassi et initiation sexuelle, Casablanca, Éditions Afrique-Orient.
- Dialmy A. (1995), Logement, sexualité et islam, Éditions Eddif.
- Dialmy A. (1997), Féminisme, islamisme et soufisme, Paris, Éditions Publisud.
- Dialmy A. (2000), Jeunesse, Sida et Islam, Casablanca, Eddif.